



تاريخ حصن بابلون

أو قصر الشمع بمصر القديمة

مكتبة

تاريخ حصن بابيلون أو قصر الشمع بمصر القديمة

هنالك وسط السكون السحري العجيب في حى مصر القديمة، أطلال وأبراج تعلوها مسحة من العز البائد وهى بقايا من حصن قديم تشهد للقوم الذين انبروا لتصميمه وبنائه بالبراعة الفائقة في فن المعمار والقدرة على الابتكار، والصولة والجبروت في انشاء أعتى الاستحكامات العسكرية والقلاع المنيعة في تلك العصور السحيقة العريقة في القدم. على أن هذا ليس بغريب على سكان وادى النيل القدماء الذين نبت الفن أول ما نبت عندهم وترعرع في أرضهم حتى وصل شأوا بعيدا لا يبارى وانتزع أعجاب أمم الأرض قاطبة بل شهدت لهم بالأسبقية والتفوق الخارق في هذا المضمار، وليس أدل على ذلك مما تركوه من آثار خالدة نازعت الدهر البقاء.

ولا شك أن الناظر الى تلك الاطلال والأبراج لا بد أن يدور بخلده لأول وهلة فكرة ترمى الى استجلاء كنه هذا الطلل إما عن معرفة مصدر الاسم الذى يحمله أو المكان الذى قام عليه أو العهد الذى بنى فيه ولمن يرجع الفضل في إنشائه. وقد اختلف المؤرخون وتضاربت آراؤهم في البحث عن تاريخ هذا الأثر بسبب الافتقار الى الوثائق الأصلية التى يمكن الاعتماد عليها وعلى صحتها اعتمادا قاطعا. واغلب ما استندوا اليه مما ذكره «تيودورس» أو «استرابون» وغيرهما من مؤرخى العصور القديمة أو مما رواه كتاب القبط أو العرب في العصور الوسطى. ولو أننا لا ننكر أن ما كشفت عنه الآثار في حفائر تلك المنطقة أخيرا جاء مؤيدا لبعض ما ذكره عنها. على أن كتاب العرب عند الكلام عن منشئ ذلك الحصن أو العهد الذى تم فيه ذهبوا مذاهب شتى هى أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة.

وربما يكون ذلك مما حدا ببعض مؤرخى الغرب الى التصريح بأن بابيلون اسم خيالى وليس له أصل تاريخى حقيقى بل أنكر وجوده كلية . وهذا الزعم لا أساس له من الصحة، وقد أجمع أغلب المؤرخين على بطلانه وخطئه كما سيجىء فى أقوالهم بعد .

فيذكر «ديودورس» الذى كتب عن مصر حوالى عام ٥٠ ق.م . أن أعداداً من الأسرى من مدينة بابل الآسيوية جىء بهم الى مصر على يد الفرعون المصرى «سيزوستريس» وعهد إليهم ببعض الاعمال العامة . فثاروا واتخذوا مكانا حصينا على النيل وشنوا منه الغارة على المصريين، وظهروا عليهم ولم يخلدوا الى السكينة الا بعد عقد الهدنة معهم، وقد سمى المكان الذى تحصنوا فيه «بابليون» نسبة الى المدينة التى جاءوا منها . ويروى «استرايون» الذى زار مصر عام ٢٥ ق.م . أنه رأى فى بابيلون مكانا حصينا به ثلاث فرق من الفيالق الرومانية، بل يؤكد نظريته «ديودورس» فى أن تأسيس بابيلون راجع الى ثورة البابليين، كما أنه أطلق اسم البابليين على سكان ذلك المكان . ويذكر «يوسيفوس» حوالى عام ٨١ ميلادية اسم مدينة بابيلون عندما تكلم على خروج العبرانيين من أرض مصر . وأن القديس بولس الرسول ذكر اسم مدينة بابيلون عندما بعث فى إحدى رسائله بسلامة الى أهلها . كما أن «بطليموس» الجغرافى أطلق كلمة مدينة على بابيلون وذكر أيضا أن قناة «تراجان» كانت تخترق تلك المدينة بمعنى أنها كانت فى عصره مدينة عظيمة الشأن تقع فى شمال قناة تراجان وفى جنوبها، وأنها نمت واتسعت نحو الشمال حتى قربت من مدينة عين شمس . ولا ننسى ان بطليموس هذا كان مصرياً من الأسكندرية وكتب معلوماته حوالى عام ١٥١ للميلاد، وأنه عاش ثمانية وسبعين عاما فكان بلا شك معاصراً أو على الأقل أقرب الى الوقت الذى تم

أو أعيد فيه بناء حصن بابيلون أو قصر الشمع وحفر قناة تراجان . وعلاوة على أنه دون معلومات محلية معاصرة فهو جغرافى ذائع الصيت بل كان أمهر أهل زمانه .

ويذكر «يوحنا النقيوسى» الذى يعتبر من أهم المؤرخين القبط وأقرب المعاصرين لفتح العرب لمصر أن «طريانوس» أى «تراجان» لما علم بقيام ثورة اليهود بالاسكندرية وبأنهم نصبوا ملكا عليهم أرسل جيشا الى مصر ثم جاء بنفسه اليها وأسس فيها حصنا وفيه قلعة حصينة جلب اليها الماء من النيل . وكان هذا الحصن مبنيا من قبل فى عهد الفرس وسموه حصن بابيلون . ويظن أن «بنو خذ نصر» هو الذى جدده كما أنه يلاحظ على جدرانها الآن كتابة هيروغليفيه . ثم ذكر أن «تراجان» زاد فى أسواره وعلاها، وأن وجوده كان يعرقل سير العدو عند اختراقه لمصر من الوجهين القبلى والبحرى .

وكانت كلمة مصر معروفة لأهل الغرب أيام الحروب الصليبية كمرادف لاسم بابيلون، ولم يقتصر ذلك على الأمم الأجنبية فحسب بل عثر فى إحدى الوثائق القبطية الهامة عام ١٢١٠ للميلاد على عبارة يلقب فيها صلاح الدين الأيوبى بأنه حاكم بابيلون مصر وفينقيا وسوريا . وهذا اشبه ما كان يوصف به ملك بريطانيا كملك لندن وويلز واسكتلندا . ويذكر «ياقوت» الحموى فى مختصره المسمى «مراصد الأطلاع» أن بابيلون اسم لمدينة حصينة وأنه اسم عام لمصر فى لغة القدماء واسم خاص للفسطاط . وهذه شهادة لها روعتها وأهميتها . ويقول الدكتور «الفرد بتلر» من مؤرخى العصر الحديث أن اسم بابيلون اسم لمدينة عظيمة اجمع المؤرخون على أن مكانها فى مصر القديمة وحلت محل منف عاصمة الديار المصرية وفاقت اعظم المدن المصرية القديمة عدة قرون طويلة قبل الفتح الاسلامى وبعده . ولما حط

العرب مدينة الفساط اخذ نجمها في التآلق على حساب مدينة باييلون التى
أخذ نجمها في الأفول تدريجيا حتى القرن الثالث عشر للميلاد .

ويستخلص من أقوال أولئك المؤرخين على اختلاف عصورهم أنهم
مجمعون على قيام مدينة باييلون وأنها لو لم تكن أسما معروفا كمدينة
عظيمة لما أصبح لها هذا الصيت الذائع حتى جرى اسمها مرادفاً أو رمزا
لمصر نفسها . وأن هذا الاسم الذى أطلق عليها منذ عهد الفراعنة نسبة الى
أسرى بابل الآسيوية وأن الأبراج والأسوار الظاهرة حتى اليوم إنما هى بقايا
لحصن باييلون الذى استمد اسمه بطبيعة الحال من المدينة العظيمة التى
شيد فيها . ويقولون أنه كان قبل عهد الفرس . وبعد ما استولى الفرس
على مصر جددوا بناءه ولما زالت أمة الفرس ودانت مصر الى الرومان
وسعوا في قلاعهم وأبراجهم ورفعوا أسوارهم، وقيل أنهم أعادوا بناءه، وترجح
أغلب المصادر التاريخية ان «تراجان أحد أباطرة الرومان هو الذى اهتم
بأعادة بنائه في مستهل القرن الثانى للميلاد .

أما ما يطلق على هذا الحصن من عبارة «قصر الشمع» فقد روى
المقريزى عنها أنها ترجع الى أن الفرس اثناء حكمهم لمصر كانوا قد
خصصوا قاعة كبيرة في أحد أبراجه، وكان من عادتهم أن يوقدوا فيها
شموعا كثيرة كل شهر وذلك في ليلة انتقال الشمس من برج الى آخر .
غير أننى لا أميل الى الأخذ بصحة تلك الرواية لافتقارها الى أدلة قوية
تعززها . كما أن اسم قصر الشمع يغلب أنه يرجع الى عهد متأخر لعهد
الفرس . على أن المؤرخ بوكوك Pococke ذكر أن أبراج الفيالق
الرومانية كانت فى باييلون وكانت تسمى تلك الأبراج «بقصر كيما»
وكيما هذه محرفة من الكلمة القبطية /KHIMI «خيمى» فيكون معنى
قصر كيما أى «قصر مصر» . ولا يبعد أن كلمة خيمى التى يقصد بها

مصر قد حرفت الى لفظة شمع فاطلقوا على «قصر مصر» «قصر الشمع»
والمقصود به حصن باييلون نفسه .

أما عن السبب فى اختيار تلك البقعة لأقامة هذا الحصن عليها فهو
مناعتها الحربية اذ أنها كانت تسيطر على طريق الصحراء شرقا وعلى
طريق النيل المؤدى الى الوجهين البحرى والقبلى، كما أنها فى منطقة منف
التى كانت قصبة الديار المصرية فى عهد الفراعنة الزاهر . وكان نهر النيل
يمر تحت الأسوار القريبة لهذا الحصن وقد ابتعد فى مدى ١٨٠٠ عام الى
مكانه الحالى . وقد كشفت الحفريات أخيرا تحت جدرانها بالدير المعروف
بدير مار جرجس الرومانى عن الأرصفة التى كانت ترسو بالقرب منها
السفن النيلية، كما كشفت الحفائر التى قامت بها لجنة حفظ الاثار العربية
عن نفس الارصفة تحت جدران البرج المقابل له امام المتحف القبطى .
وهذا الكشف يؤيد ما ذكره القديس «جيروم» و «روفينس» من أنه كان
أمام باييلون عدة مراسى للسفن . ومما يدعو الى الدهشة والروعة أنه ما
زال اسم باييلون يطلق حتى الآن على بقعة تبعد حوالى نصف كيلو متر
قبلى الحصن وبها ثلاث كنائس قبطية عريقة فى القدم وأهمها كنيسة
السيدة العذراء بباييلون الدرج . ويروى أن القديس الرسول بطرس حرر
رسالته الاولى فى هذا المكان .

على أن بقايا هذا الحصن لها أهمية تاريخية عظيمة ومغزى بعيد الأثر
لأنها:

اولا: تعتبر الأثر الهام الوحيد الباقى من مخلفات الأمبراطورية الرومانية
فى مصر خصوصا وأنهم حكموا مصر مدة تزيد على ستة قرون، وقد
اشتهروا بشغفهم بأقامة العمائر عظيمة الضخامة فى الأقاليم التى
كانوا يحكمونها .



Interior view of the Jewish Synagogue inside the Fortress of Babylon in old Calro.

المنظر الداخلى لمعبد اليهود داخل حصن بابلون بمصر القديمة .

ثانيا: تضم اسوار هذا الحصن التى كانت تعطى مساحة من الأرض تزيد على ستين فدانا، ست كنائس قبطية على جانب كبير من الأهمية من الناحيتين التاريخيه والفنية والمتحف القبطى ثم معبد لليهود كان فى الأصل كنيسة قبطية على اسم الملاك غبريال . كما ان البرج الذى شيدت عليه كنيسة مار جرجس واستحوذ عليه الروم كان ملكا للأقباط .

ثالثا: كان الحصن المذكور أقوى حصون الديار المصرية على الإطلاق حتى الفتح العربى بدليل أن القائد الاسلامى عمرو بن العاص لم يقو على فتح مصر الا بعد الاستيلاء عليه، وانه ظل يحاصره مدة تزيد على سبعة اشهر، وان مصر سلمت للعرب بعد سقوطه مباشرة، وان فيه تقرر مصير البلاد المصرية وعقدت معاهدة التسليم ثم دخلت البلاد فى طور جديد ومدنية جديدة .

هذه لمحة عابرة عن تاريخ تلك البقعة التى كانت فى غابر الزمان عاصمة الدنيا بأسرها وما زالت حتى اليوم تحمل الاسم الذى خلع عليها منذ آلاف السنين، وهى ما زالت كعبة للسياح والعلماء من مشارق الأرض ومغاربها .

ومن طريف المصادفات أن كلمة بابلون آشورية الأصل ومعناها «دار السلام» وأنها أول بقعة بزغت فيها شمس الديانة المسيحية فى مصر . كما أنها كانت أول مدينة استقبلت الديانة الاسلامية أيضا .

د . رءوف حبيب



The principal entry to the Hanging Church, the oldest and most renowned of all churches in old Cairo. It was erected upon the ruins of two towers of the Fortress of Babylon.

المدخل العام لكنيسة المعلقة أقدم وأشهر كنائس مصر القديمة والمبنية على انقاض برجين من ابراج حصن بابيلون .



Bronze splendid statue of an eagle found in the ruins of the Roman fortress of Babylon in Old Cairo. The eagle represented the Roman Empire in its splendour.

4th century.

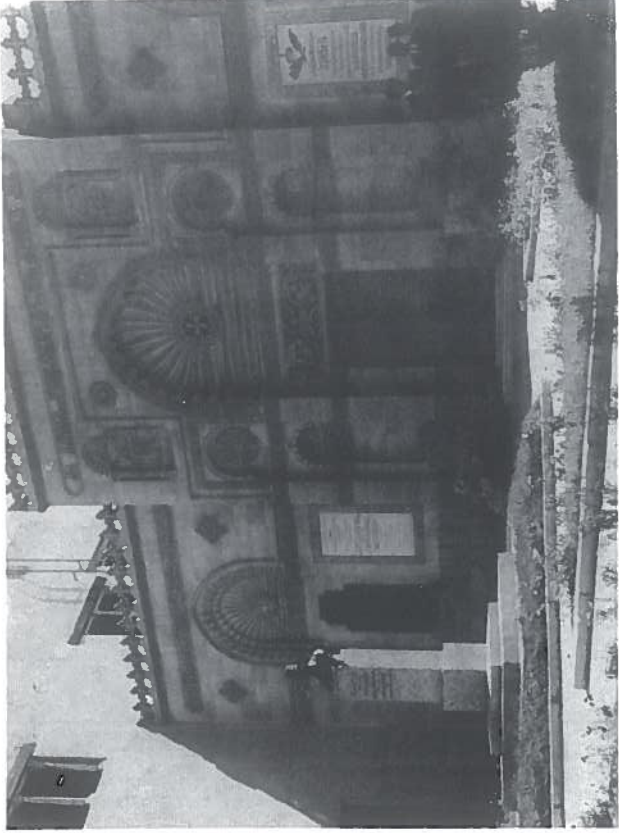
Coptic Museum.

تمثال فاخر لنسر من البرنز وجد في انقاض حصن بابيلون الرومانى بمصر القديمة وكان النسر يمثل عظمة الامبراطورية الرومانية في عز مجدها . القرن الرابع-ع المتحف القبطى .



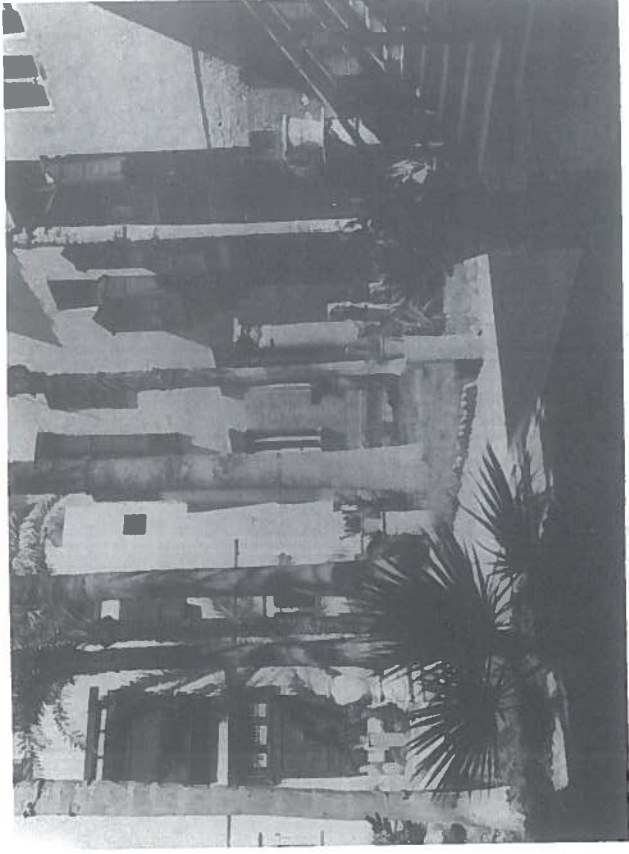
The Saqqara Hall in the sculpture section of the Coptic Museum with its unique capitals and wonderful carved stone-friezes.

منظر لأهم قاعات النحت بالمتحف وتعرف بقاعة سقارة وهى تزخر بمجموعة من التيجان الفريدة فى نقوشها والأفاريز الحجرية ذات الزخارف الدقيقة النادرة.



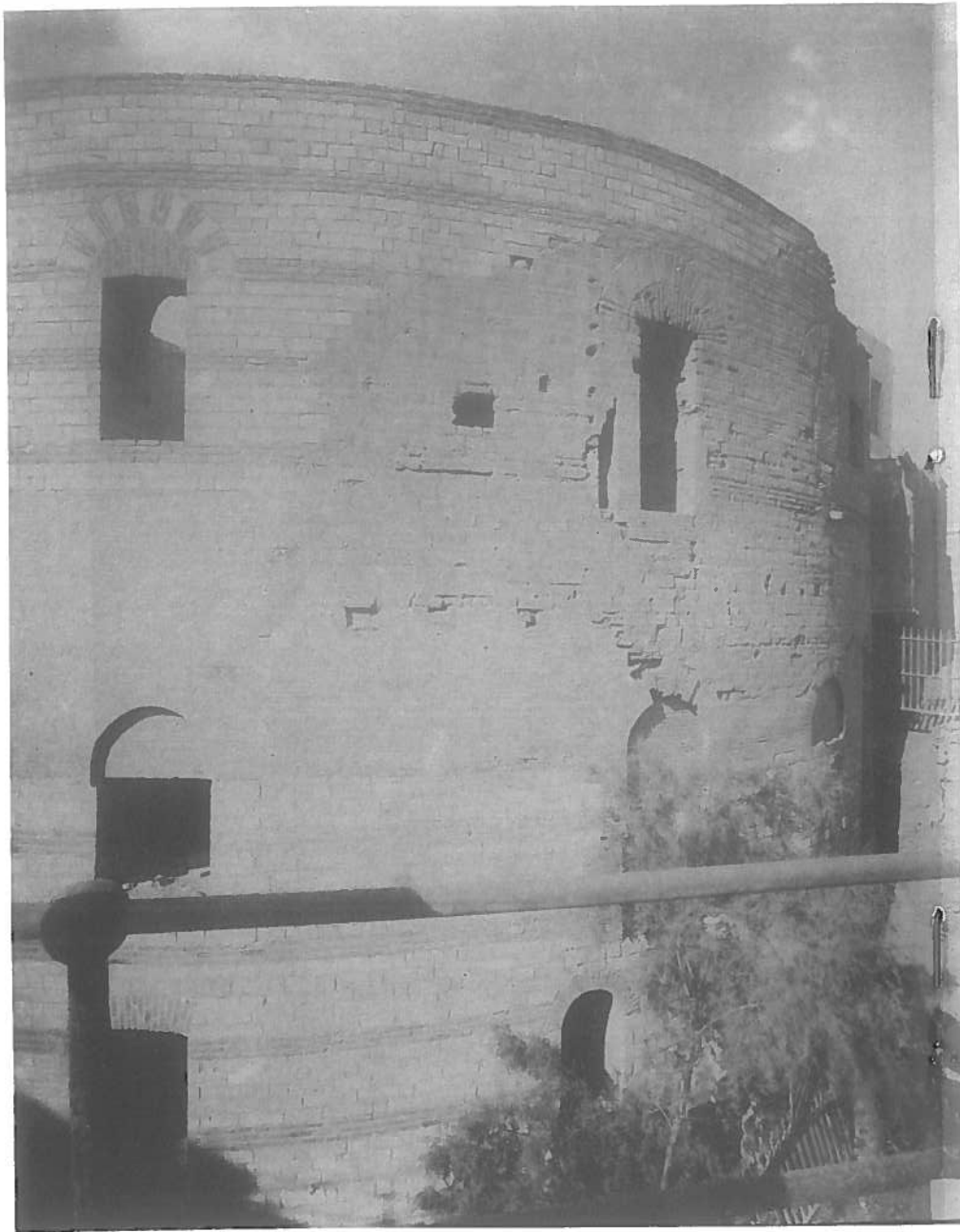
General view of the entrance of the Coptic Museum in Old Cairo situated in the enclosure of the Fortress of Babylon

منظر لمدخل المتحف القبطي بمصر القديمة داخل اسوار حصن بابليون .



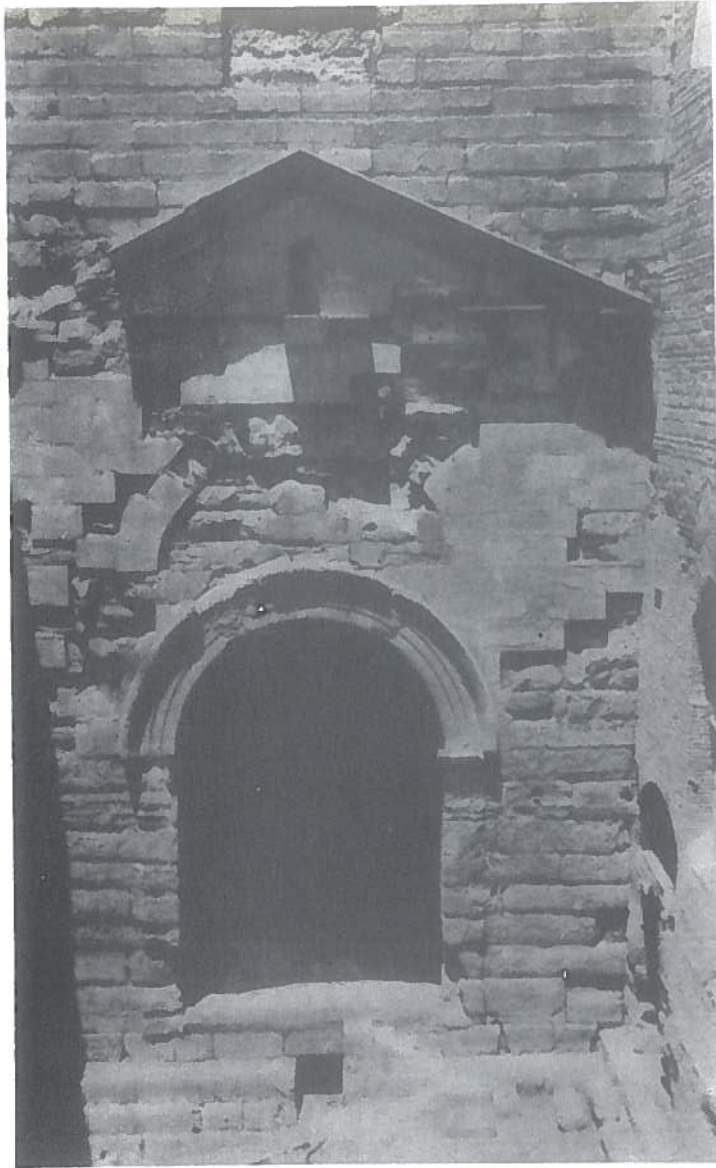
General view of the interior of the old section of the Coptic Museum which was probably been established upon some ruins of the Fortress.

منظر عام لداخل الجناح القديم بالمتحف القبطي وقد أنشئ على غالب الاحتمال فوق بعض أنقاض الحصن .



One of the towers of the Fortress of Babylon after restoration. The excavations revealed anchors belonging to the Nile boats.

احد أبراج حصن بابلون بعد ترميمه ويقع امام المدخل الخارجى للمتحف القبطى حيث
كشفت الحفائر تحت جدرانه عن الارصفة التى كانت ترسو بالقرب منها السفن النيلية .



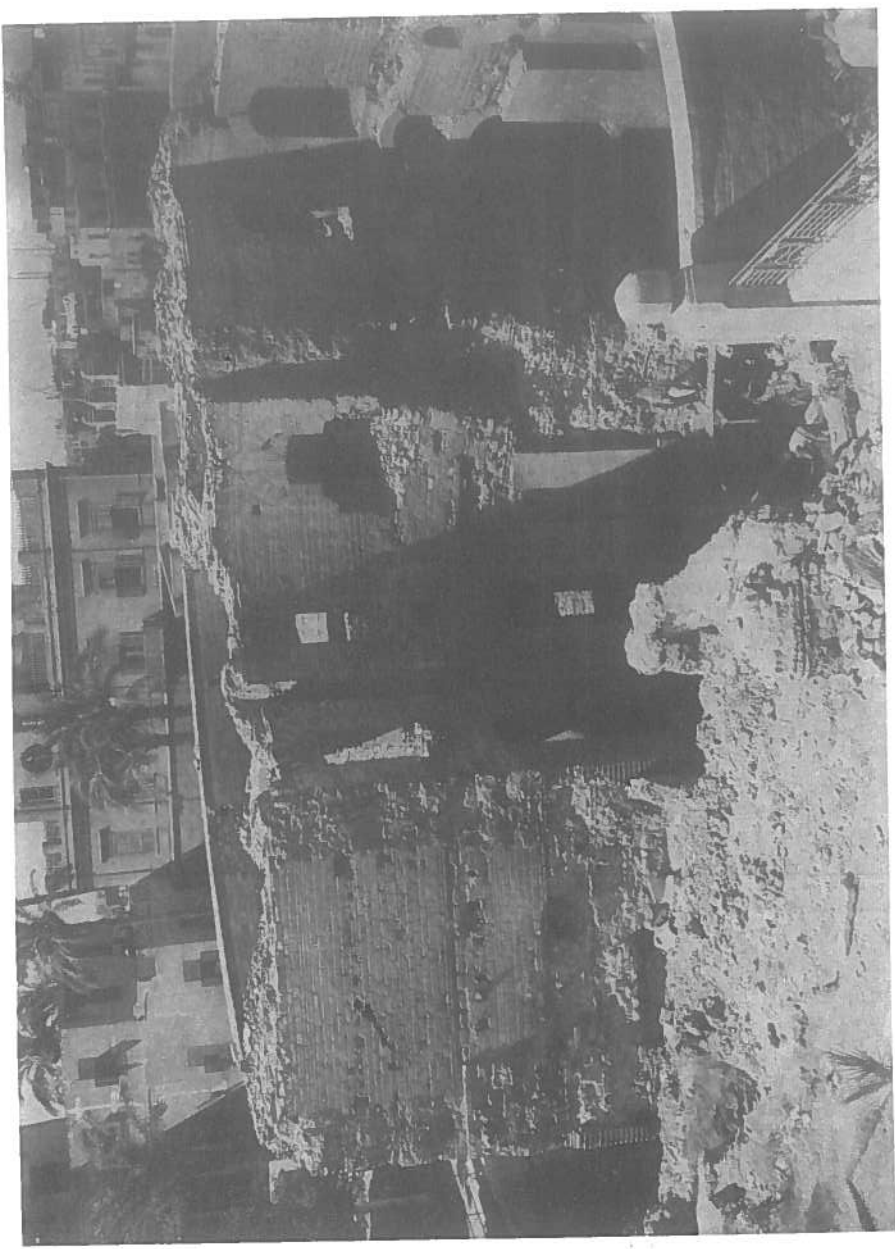
The southern entrance to the Fortress of Babylon.

المدخل الجنوبي لحصن بابلون ويقال أنه منه دخل العرب الى الحصن



One of the towers of Babylon Fortress, neighbouring to the Coptic Museum. It is now occupied by St. George Church of the Greek Orthodox in Old Cairo.

أحد أبراج حصن بابلون المجاور للمتحف القبطي وتحتله الآن كنيسة مار جرجس
لليونان الأرثوذكس بمصر القديمة.



The tower of the Fortress of Babylon in front of the outer gate of the Coptic Museum when it was ruined. During its restoration, the excavations executed by the Committee for the Conservation of the Arab Monuments, revealed the anchors belonging to the Nile boats.

برج حصن بابلون الواقع امام الباب الخارجى للمتحف وهو مهدم واثناء قيام حفريات لجنة حفظ الآثار المصرية فيه وترميمه كشفت الأرضفه التى كانت ترسو بالقرب منها السفن النيلية.



Two of the towers of the Fortress of Babylon standing near the entrance of the Coptic Museum.

برجان من أبراج حصن بابلون وتقعان بجوار مدخل المتحف القبطي .

tower that had already been converted into a Coptic monastery.

Furthermore, up to the time of the Arab conquest, this was the strongest fortified post that had existed in Egypt, and it was for that reason that Amr ibn el-As was unable to take possession of Egypt until he had first reduced the fortress after a siege that lasted seven months. It was therefore, on this spot that the final destiny of Moslem Egypt was decided and where the peace conditions under which the country was submitted to the Caliph were drawn up.

This has necessarily been only a brief sketch of a site that still echoes the name of a great city that was once the capital of the civilised world west of India, and whose name has resounded down the centuries. It is a site that encloses living memories of the history of the early Church, and it has understandably become a place of pilgrimage for tourists as well as the learned of East and West.

It is interesting to note that the name of Babylon in Babylonian meant what would be translated into Arabic as Dar el Salam, the House of Peace. It was therefore appropriate that it should have been the first corner of Egypt into which the light of Christianity shone. The religion of peace was followed by Islam, and so it was here that the Cross and the Crescent first stood side by side in Egypt.

Dr. Raouf Habib.



General view of the fortress of Babylon during the French Expedition to Egypt in 1798.

صورة لحصن بابلون أيام الحملة الفرنسية والذي بداخل أسواره يقع المتحف القبطي وأقدم كنائس مصر القديمة.

foundation of Fostat led to the gradual decay of Babylon during the period up to the 13th century A.D.

The evidence is indeed sufficient proof that the town of Babylon existed and that, had it not been the name of an important city, it would not have been so renowned as to be adopted as a synonym for Egypt itself. The name was originally bestowed as the result of the importation of Asiatic slaves in pharaonic times. The fortress took its name from the town where it was built. It is stated that the fortress existed before the Persians, who proceeded to restore it. In due course the Romans rebuilt and enlarged the structure, giving it the handsome form of which we have now the remains. This was the work of the Roman Emperor Trajan at the end of the 1st and beginning of the 2nd centuries, as the majority of the documents testify.

The fortress of Babylon was often called the palace of El-Shama', the Palace of Wax Candles. The Arab historian Makrizi says that this name was derived from the Persian period. The Persians, he says, illuminated the summit of one of the towers, as was their custom, with numerous candles on the first night of each month in order to serve as a calendar. This legend is so badly documented as to be unacceptable. In any case, the name Palace of Wax Candles does not appear until long after the Persians. The traveller "Pococke" states that the Roman towers existed at Babylon in the early 18th century, and that they were called the "Kiman" Palace. The word kiman is derived from the Coptic XHIMI (khemi), itself derived from the ancient Egyptian kemet the Black Land, that is Egypt - This name therefore signified "The Palace of Egypt". The word Shema' is very likely a corruption of the

word Khemi, and Makrizi's story arose, as legends so often do, as an explanation of a name no longer understood.

The site was chosen because of its great strategic importance. It dominated both the desert routes from the north as well as the routes leading to both Upper and Lower Egypt. (Coming from Asia, it was until modern times necessary to come first to Cairo in order to penetrate the Delta). Memphis was on the wrong side of the river when it became desirable to protect Egypt from foreign invasion from the east. The use and maintenance of the fortress was facilitated by bringing the Nile up to its walls, and recent excavations beneath the ruins of the Convent of St. George have revealed the Roman quays to which the Nile boats were moored. The Committee for the Preservation of Arab Monuments have discovered similar quays against the towers opposite and beside the present entrance to the Coptic Museum, where they can readily be seen. Both St. Jerome and Rufinius had spoken of the many moorings that existed at the fortress of Babylon.

It is notable that the area stretching some half a kilometre south of the fortress still bears the name of Babylon and that it contains three Coptic churches, of which the most important is known as that of the Virgin at Babylon el-Darag. The story has it that St. Peter wrote his first Epistle there.

The ruins have a special importance for several reasons. They are an outstanding example of Roman military architecture, and they were an embodiment of the Pax Romana for over six centuries. Moreover, the area of this fortress, covering over sixty acres, now encloses six Coptic churches that are both historically and artistically very important, as well as the Coptic Museum and a Jewish synagogue that originated from a Coptic church dedicated to the Archangel Gabriel. The existing Greek Orthodox Church of St. George was built on a

The name of Babylon itself was always particularly intriguing. Diodorus, Siculus, who wrote about Egypt around 50 B.C., asserts that a number of prisoners were brought to Egypt from the great Babylon by the Pharaoh Sesostris and that they were employed on public works. These slaves, rendered desperate by their hard labour, revolted and built a fortified place as a centre for their struggle against the Egyptians. This spot stood on the banks of the Nile, and it continued to be used until the slaves won and made peace. The fortress took the name of Babylon from the slaves' town of origin.

Strabo, who was in Egypt some twenty-five years later, relates that he saw Babylon and found it a fortress occupied by three Roman regiments. He repeats Diodorus's story about the foundation of the place by revolted Babylonians and adds that those living in the area still called themselves Babylonians. Josephus, writing about A.D. 81, mentions Babylon when he speaks of the Hebrew Exodus. The Apostle Paul sent his greetings to its inhabitants in one of his Epistles. Ptolemy, the geographer, includes the name of Babylon, and states that Trajan's canal ran through it. Trajan's Canal was one of the predecessors of the Suez Canal that were built in ancient times to join the Nile to the Red Sea. It was known as the River of Trajan and dated from A.D. 98. Although the Canal became finally silted up after the Arab conquest, a section of it, known as the Khalig, ran through Cairo until it was filled in this century.

Ptolemy was a citizen of Alexandria who flourished in the middle of the 2nd century A.D. He lived to be nearly eighty, so that he was doubtless alive at that time that the fortress of

Babylon was built and the River of Trajan cut. This celebrated geographer had direct local information.

John of Nikou was the most important Coptic historian when the Arabs arrived in Egypt. He states that Tiryanos (Trajan), having heard of the Jewish revolt in Alexandria in which the rebels elected one of their number king, sent an army to Egypt and himself came to build a fortress that was an impregnable citadel to which he brought a water supply from the Nile. This fortress, he says, had originally been built at the time of the Persians and had been called the Fortress of Babylon. He thought that Nebuchadnezzar (certainly no Persian) built it, and not that the hieroglyphic inscriptions (already unreadable) were to be seen upon the walls. He adds that Trajan enlarged the walls and that his presence frustrated the enemy as an attack was made simultaneously from both Upper and Lower Egypt.

During the Crusades, Egypt was synonymous with Babylon, not only among the Europeans but also among the Coptic scribes, for we have a document dated A.D. 1210 in which Salah el-Din el-Ayyubi (Saladin) is called Governor of Babylon, Phoenicia and Syria. It is as if the king of England were to be called king of London, Wales and Scotland. In his compendium (Marased el-Attilah, Yacout tells us that Babylon was the general name for Egypt in ancient times and was used as a special name for Fostat. This important testimony was sufficient for Dr. Bulter, the modern historian, to be able to state that Babylon was the name of a large town that the historians showed to have been at Old Cairo and that replaced Memphis to become one of the most important towns in Egypt during several centuries before and after the Arab conquest. The

**The History of Babylon
or
The Palace of El-Shama in Old Cairo**

Near old Cairo, southwards from the modern city, and now silent and mysterious, lie the ruins and towers that are the remains of an antique fortress strikingly different from the ancient, the Coptic or the Islamic buildings to which the visitor's eye has grown accustomed. They are the remains of the Egyptian Babylon. Many stories have gathered round the site, and no-one who sees these splendid perdurable walls with their swelling bastions, so massive and self-confident, can fail to remember that the Roman legions passed this way after the death of Cleopatra. It was then that this strategic fortress was built on the other side of the river from the ancient capital at Memphis, although it is probable that a more ancient town already existed upon the site. The curious will also wonder how the name of the famous Babylon came to be echoed in Egypt. The classical and later authors have a number of stories to tell. There are Diodorus, Siculus, Strabo and Ptolemy, as well as Coptic and Arabi writers of the Middle Ages. Recent excavations and restorations have amplified what the books have to say in speaking of the foundation and building of Babylon, but the writers had such old and various things to say that it is not surprising that western writers should have doubted their veracity.